(6) عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما

إنه صائم النهار ، قائم الليل ، أسلم مبكراً ، وهو أحد العبادلة والمكثرين رواية للحديث ، ومن أهل العلم المخلصين ، الزاهد العابد ، المبتعد عن متع الدنيا ومناصبها . المنفق بسخاء ، والمعطي بكرم .

إنه الرجل الذي وصفه الرسول ﷺ بالصلاح ، ونصحة بقيام الليل .

إنه أبو عبد الرحمن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما ابن أمير المؤمنين ، وفاروق الأمة كيف كانت حياته ؟

وما هي مواقفه مع الرسول ﷺ ؟

وكيف كان اقتداؤه بسنة النبي ﷺ ؟

وكيف عاش ، وكيف مات ؟؟؟

هذا ما سنتعرف إليه من خلال تقليب هذه الصفحات .

***

الصحابي الجليل عبد الله بن عمر بن الخطاب العدوي القرشي ، ولد قبل البعثة بسنة ، وأسلم صغيراً وهو لم يبلغ الحلم بعد ، وقضى طفولته المبكرة بمكة المكرمة ، وشهد ما كان يحدث للمستضعفين .

تبدأ حياته مع الإسلام بعد هجرته إلى المدينة المنورة فقد هاجر إليها قبل أبيه عمر ابن الخطاب رضي الله عنه ، وعندما تراءت الفئتان [1] والتقي الجمعان ، جمع التوحيد ، وجمع الشرك في معركة بدر الفاصلة كان ابن عمر ما يزال صغيراً ، ولكن حب الجهاد ملأ قلبه ، فدفعه إلى الذهاب إلى النبي ﷺ طالبًا منه المشاركة ، فنظر إليه ﷺ وابتسم ورده لأنه كان صغيراً وبعد سنة كانت غزوة أحد ، ومرة أخرى ذهب عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ليشارك المسلمين جهادهم ، فرده الرسول ﷺ مرة ثانية مع

---

(1) تراءت الفئتان : تقابل الفريقان .

غيره كأسامة بن زيد ، وزيد بن ثابت ، وأبو سعيد الخدري رضي الله عنهم جميعاً .

* * *

وأول مشهد له مع رسول الله ﷺ غزوة الخندق ، فقد شارك فيها بالحفر والحراسة حتى أرسل الله تعالى على المشركين ريحاً وجنوداً لا تُرى ، وردهم بغيظهم دون أن ينالوا خيراً ولا نصراً ، وشهد بعد ذلك غزوة مؤتة ومعركة اليرموك وفتح مصر وافريقية ، ولم يرفع سيفه إلا جهاداً في سبيل الله ، ورداً للعدوان ، ونشراً لرسالة الإسلام . .

* * *

لم يكن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما يمتلك قلبًا شجاعاً فقط ، إنما حباه[1] الله بعقل واعٍ ، وذهن صاف ، وذكاء عظيم ، ويدل على ذلك أنه كان ذات يوم جالساً مع الرسول ﷺ وسط صحابته أمثال أبي بكر وعمر وعثمان وعلى رضي الله عنهم يتعلم منه ، ويسمع حديثه ، ويأخذ عنه ، فسأل الرسول ﷺ : « **إن من الشجر شجرة لا يسقط ورقها ، وإنها مثل المسلم ، فحدثوني ما هي ؟**» .

فأخذ كل من الصحابة يذكر شجرة من أشجار الصحراء ، ووقع في نفس ابن عمر رضي الله عنه أنها النخلة ولكنه لصغر سنه استحيا أن يجيب ، فأجابهم الرسول ﷺ بقوله : « **هي النخلة**» .

بعد أن انصرف القوم أخبر عبد الله أباه قائلاً : يا أبت ، لقد وقع في نفسي أن الشجرة هي النخلة ، ولكني استحييت أن أجيب ، فقال عمر رضي الله عنه : لئن كنت قلتها لكان ذلك أحب إليّ من حمر النعم يرجو بذلك دعاء النبي ﷺ لولده بنجابة العقل ، ورجاحة الفكر ، وسعة العلم .

* * *

عاش عبد الله بن عمر رضي الله عنهما مع رسول الله ﷺ يراقب أفعاله ، ويحفظ أقواله ، ويقتدي به ، ويفعل مثلما يفعل بدقة متناهية ، حتى أن السيدة

---

(1) حباه : اختصه .

عائشة رضي الله عنها قالت : « **ما كان أحد يتبع آثار النبي ﷺ في منازله كما كان يتبعه ابن عمر** » لقد كان يتحرى آثار النبي ﷺ ويتبعها ، فعندما يراه يصلي في مكان ما يصلي فيه وحيثما يسير في طريق يسير فيه ، رجاء أن توافق خطواته خطوات النبي ﷺ، وعندما علم أن رسول الله ﷺ نزل تحت شجرة يستظل بها كان عبد الله رضي الله عنه ينزل عندها ، ويرويها بالماء خشية أن تيبس .

بل إنه عندما فتح الرسول ﷺ مكة . ودخل الكعبة ومعه بلال رضي الله عنه ، وصلى فيها ، وبعد خروجه تخلف بلال ، فدخل عبد الله على بلال وسأله : أين صلى رسول الله ﷺ ؟ ولم يسأله كم صلى .

وفي لباسه كان يحاكي [1] النبي ﷺ ، فإذا لبس عمامته أرخاها وأرسلها بين كتفيه كما كان يفعل النبي ﷺ .

وذات يوم مر بمكان ، فانحرف قليلاً ، فسئل : لم فعلت ذلك ؟ قال : رأيت النبي ﷺ فعل هذا ففعلت .

وبلغ به الأمر أنه في موسم الحج ذهب إلى مكان ما ، وأناخ [2] راحلته ، وظن أصحابه أنه يريد الصلاة . فقال غلامه : إنه لا يريد الصلاة ، ولكنه ذكر أن النبي ﷺ قضى حاجته في هذا المكان ، فهو يحب أن يقضي حاجته فيه .

وهكذا اقتداء واتباع كاملين لأثار الرسول ﷺ دون تفكير ، بل دقة متناهية ومحاكاة تامة .

وعندما كان يرى الرسول ﷺ يفسر رؤى [3] أصحابه ، كان يتمنى أن يرى رؤية حتى يفسرها له الرسول ﷺ يحكي ذلك عن نفسه قائلاً : كان من رأى رؤيا في حياة النبي ﷺ قصها عليه ، فتمنيت أن أرى رؤيا ، وكنت غلاماً شاباً عزباً أنام في المسجد فرأيت في المنام كأن ملكين أتياني فذهبا بي إلى النار ، فإذا هي مطوية كطى البئر ، وإذا لها قرنان ، وإذا فيها أناس قد عرفتهم ، فجعلت أقول : أعوذ بالله من النار .

---

(1) يحاكي : يقلد .

(2) أناخ راحلته : جعلها تبرك .

(3) رؤى : جمع رؤيا ، وهي ما يُري في النام .

فلقيني ملك آخر ، فقال لي : لم ترع [1] . فقصصتها على حفصة ـ أخته وزوج النبي ﷺ ـ فقصتها حفصة رضي الله عنها على رسول الله ﷺ فقال : نعم الرجل عبد الله لو كان يصلي من الليل » .

فمن يومها كان ابن عمر رضي الله عنه لا ينام من الليل إلا قليلاً ، وظل هكذا طوال حياته إلى أن مات ، فقد كان بجوار فراشه وعاء لماء الوضوء ، يتوضأ منه ثم يصلي ، ثم يغفو [2] اغفاءة خفيفة ، ثم يقوم فيتوضأ ثم يصلي ثم يرجع إلى فراشه فيغفوا اغفاءة قصيره خفيفة ، ثم يقوم فيتوضأ ويصلي ، يفعل ذلك في الليل أربع أو خمس مرات .

ولهذا استحق رضي الله عنه وصف الرسول ﷺ له بالرجل الصالح . فقد رأى في منامه ذات يوم كأن بيده قطعة استبرق [3] ، ولا يشير بها إلى موضع من الجنة إلا طارت به وأخذته إلى ذلك المكان . فقص رؤياه على أخته حفصة رضي الله عنها التي قصتها بدورها على زوجها ﷺ ، فقال لها : « إن أخاك رجل صالح » أو « إن عبد الله رجل صالح » .

***

لم تكن ملازمة عبد الله بن عمر رضي الله عنهما للنبي ﷺ للاقتداء به فقط ، إنما كانت لنقل سنته إلى المسلمين ، وسماع حديثه وتبليغه للناس ، ولذلك فقد كان من المكثرين رواية للحديث ، ومن المطبقين والمنفذين لأوامر الله تعالى ورسوله ﷺ .

وقد كان رضي الله عنه جواداً عطوفًا على الفقراء والمساكين والسائلين ، لا يرد سائلاً أيا كان ، حتى أن المجذوم [4] ليأكل معه في طبقه ، وكان إذا وضع طعامه دعا من حوله ومن يقابله من اليتامى والمساكين حتى أضر ذلك بجسمه من قلة الطعام ، حتى وصل الأمر بزوجات جيرانه أن يذهبن إلى زوجته ، ويعاتبنها قائلين : أما تلطفين بهذا الشيخ ؟!

---

(1) لم ترع : لا تخف .
(2) يغفو : ينام قليلا . أو ينام نومًا خفيفاً .
(3) الاستبرق : نوع من الحرير السميك .
(4) المجذوم : الجذام مرض يصيب الأعضاء ويسبب تأكلها وتساقطها .

فقالت : فما أصنع به ، ما أصنع له طعاماً إلا دعا عليه من يأكله معه ويشاركه فيه . فما حيلتي والمساكين في طريقه يمر بهم إذا خرج من المسجد ؟

فقلن لها : اصنعي طعاماً لهم ، وأطعميهم إياه، وقولي لهم لا تجلسوا بطريقه .

وفعلت الزوجة ، ثم جاء عبد الله رضي الله عنه إلى بيته ، ووُضع أمامه الطعام . فقام وطلب المساكين ، فلم يأته أحد .

فقال لزوجته : أردتم أن لا أتعشى الليلة . ولم يتعش تلك الليلة .

حتى وهو مريض كان يؤثر غيره على نفسه بالشيء وإن كان يشتهيه ، فقد مرض ذات يوم فاشتهى عنقود عنب ، فاشتراه له مولاه نافع بدرهم ، ثم أتاه مسكين، فقال ابن عمر رضي الله عنه : اعطوه العنب . فأعطوه .

فذهب أحد أصحابه فاشترى العنب من المسكين بدرهم ، ثم جاء به إلى ابن عمر رضي الله عنه ، ولما هم بتناوله جاءه السائل ثانية . فقال ابن عمر رضي الله عنه : أعطوه إياه فأعطوه . فذهب إنسان آخر فاشتراه من السائل بدرهم ، ثم جاء به إلى ابن عمر رضي الله عنه ، وأراد السائل أن يعود مرة أخرى ، فنهره أحدهم قائلاً : ويحك أما تستحي . ولو علم بذلك ابن عمر ما ذاقه .

وأما عن انفاقه وكرمه ، فقد أتته يومًا وهو في مجلسه اثنان وعشرون ألف دينار، فلم يقم من مجلسه حتى فرقها ووزعها ، وأرسل له معاوية رضي الله عنه يوماً مائة ألف دينار ، فما مر عام إلا وكان قد أنفقها جميعاً على المحتاجين. ومرة أخرى أتته عشرة ألاف درهم ، فأنفقها كلها ، ثم جاء إلى السوق يشتري علفًا لراحلته بالدين .

ورغم غناه وشرفه إلا أنه كان زاهداً في الدنيا راغبًا عنها، حتى وإن أتته طائعة وهو القائل « لا يصيب عبد شيئاً من الدنيا إلا نقص من درجاته عند الله عز وجل ، وإن كان كريماً » .

بل إن أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه دعاه ذات يوم وطلب منه أن يقبل منه منصب القضاء ، وقال له : اذهب فاقض بين الناس .

فقال ابن عمر : أو تعفيني يا أمير المؤمنين ؟ قال : لا ، فقد عزمت أن تذهب فتقضي فقال ابن عمر : لا تعجل يا أمير المؤمنين ، فقد سمعت رسول الله ﷺ يقول : «**من عاذ بالله فقد عاذ بمعاذ**» .

فقال عثمان رضي الله عنه : نعم ، وأنا أعلم ذلك . قال ابن عمر رضي الله عنه : فإني أعوذ بالله أن أكون قاضياً . قال : وما يمنعك وقد كان أبوك يقضي ؟

قال إني سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **من كان قاضياً ، فقضي بجهل كان من أهل النار، ومن كان قاضياً عالماً فقضي بحق ـ أو بعدل ـ سأل التقلّب كفافاً** » فما أرجو بعد هذا . فاعفني يا أمير المؤمنين . فأعفاه عثمان بن عفان رضي الله عنه .

بل إن منصب الإمارة جاءه طواعية ، فرفضه خوفاً من إراقة دماء المسلمين ، جاءه ذات يوم رجلان أيام فتنة عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما ، فقالا له : إن الناس قد ضاعوا ، وأنت ابن عمر الفاروق أمير المؤمنين ، وصاحب رسول الله ﷺ، فما يمنعك أن تخرج وتقيم أمر الناس فإنهم قد رضوا بك كلهم ؟

فقال : يمنعني أن الله حرّم دم أخي . أرأيتم إن خالف رجل بالمشرق ؟ فقالوا : إن خالف رجل قتل ، ولكن ما قتل رجل في صلاح الأمة ؟!

فقال : ما أحب أن لي الدنيا وما فيها بقتل رجل من المسلمين .

وهكذا كان رضي الله عنه يعتزل الفتن ، وعندما وقعت الفتنة بين علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، ومعاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه لم ينضم لأي الفريقين ، وكان يقول : من قال حي على الصلاة أجبته ، ومن قال على الفلاح أجبته ، ومن قال على قتل أخيك المسلم ، وأخذ ماله . قلت : لا .

***

كان عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ينفق في سبيل الله ما يحب ، طلباً للبر والتقوى ، عاملاً بقول الله تعالى : ﴿ **لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ** ﴾ [آل عمران : 92] .

فقد أعجبته ذات يوم جارية له . فلما اشتد بها عجبه أعتقها لوجه الله تعالى ، وزوجها أحد مواليه .

وقد عرف رقيقه أنه إذا اشتد عجبه بشيء قربه لله عز وجل ، ولذلك كان بعضهم يلزم المسجد للصلاة والعبادة فإذا رأه سيده ابن عمر رضي الله عنه على هذه الحال الحسنة اعتقه لوجه الله تعالى .

فيقول له أصحابه : يا أبا عبد الرحمن ، والله ما بهم من شيء إلا أنهم يخدعوك فيجيبهم رضي الله عنه بقوله : من خدعنا بالله انخدعنا له . . .

وفقد ذات يوم ناقة له ، فاحتسبها عند الله ، فوجدها أحدهم في السوق فذهب إليه يقول : إن ناقتك الفلانية في السوق الآن تباع ، قال : إني كنت قد احتسبتها فلم أطلبها .

ومع هذا كان عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما يحمل في قلبه حباً لإخوانه المسلمين ، يكثر السلام عليهم مطبقا قول الرسول ﷺ : « **أفشوا السلام بينكم** » فكان يذهب إلى الأسواق لا للبيع أو الشراء إنما للسلام فقط إنه قلب تربى على حب الناس جميعاً ، قلب تعلق بكلام الله تعالى وبكلام رسوله ﷺ قلب تربى على التفكر في الدنيا واكتشاف حقيقتها التافهة الحقيرة ، والنظر إلى الآخرة والعمل لها ، وما كان لقلب مثل هذا أن يحمل إلا الحب والخير والنصح والإرشاد والمواعظ النافعة ، ومراقبة الله تعالى في كل الشؤون والأمور والأحوال .

يدل على ذلك أنه رضي الله عنه خرج ذات يوم في بعض نواحي المدينة مع بعض أصحابه ، فلما جاء وقت الطعام ووضع أمامهم ، مر بهم راعي غنم فسلم عليهم ، فدعاه ابن عمر إلى الطعام قائلاً : هلم يا راعي فأصب من هذه السفرة [1] . فقال الراعي : إني صائم فقال له : أتصوم في مثل هذا اليوم الحار الشديد وأنت في هذه الحال ترعى هذه الغنم ؟!

فأجابه : والله إني اجعل أيامي هذه ليوم أشد حراً من ذلك ، وهو يوم الحساب . فأراد ابن عمر رضي الله عنه أن يختبر ورع هذا الراعي .

---

(1) السفرة : المائدة وما عليها من طعام . أو طعام يصنع للمسافر .

فسأله : هل لك أن تبيعنا شاة من غنمك هذه فنعطيك ثمنها ، ونعطيك من لحمها ما تفطر عليه ؟

فقال الراعي : إنها ليست لي . إنها غنم سيدي الذي أعمل عنده ، وإني مؤتمن فقال له ابن عمر : فما يفعل سيدك إذا فقدها ؟ هل سيكتشف فقدها ؟

فولي الراعي وهو يرتجف رافعاً رأسه إلى السماء ويشير بأصبعه ، وهو يقول : فأين الله ؟! فما كان من رد فعل ابن عمر رضي الله عنه إلا ترديده : قال الراعي ، أين الله ، قال الراعي أين الله ؟

حقاً فأين الله ؟ أين العليم إذا جهل صاحب الغنم ؟! وأين الرقيب إذا غاب صاحب الغنم ؟

ثم قدم ابن عمر رضي الله عنه المدينة وسأل عن سيد هذا الراعي ، فاشتراه منه واشترى منه الغنم ، فاعتق الراعي لوجه الله تعالى ، ووهب له الغنم .

***

عاش عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عالماً فقيهاً محدثاً ، ظل يفتي الناس ستين عاماً ومع ذلك فقد كان شديد الاحتياط في الفتوى ، لا يجيب إلا على ما يعلمه ، فقد جاءه ذات يوم رجل يستفتيه في مسأله ما ، فأجابه بأنه لا علم له بما يسأل عنه ، فولى الرجل مدبراً وابن عمر يقول فرحاً : سئل ابن عمر عما لا يعلم فقال لا أعلم . ومرة أخرى سئل عن شيء .

فقال : لا أدري ، ثم قال : أتريدون أن تجعلوا ظهورنا جسوراً إلى جهنم ، تقولون : أفتانا بهذا ابن عمر ، ولهذا فقد كان بعيداً عن منصب القضاء كما مر بنا .

عاصر ابن عمر رضي الله عنه عصر الخلفاء الراشدين ، وابتعد عن الفتنة التي حدثت بين علي ومعاوية خوفاً من قتل مسلم يشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، ولكنه بعد ذلك ندم على ترك قتال الفئة الباغية مع علي رضي الله عنه عملاً بقول الله تعالى : ﴿وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا

الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ [الحجرات : 9] .

وأدرك ابن عمر رضي الله عنه عهد بنى أمية بترفه ورخائه ولكن لم تمل به الدنيا كما مالت بغيره ، وبعد عمره الطويل زمناً ، الكثير نفعاً ، الفياض علمًا جاءه أمر الله تعالى ، وكان ذلك في عهد عبد الملك بن مروان سنة أربع وسبعين للهجرة .

***

أقبل موسم الحج ، وخرج الحُجاج قاصدين مكة المكرمة ، وأوصى أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان الحَجَّاج بن يوسف الثقفي واليه على العراق أن يقتدي بابن عمر فدهش الحجاج أيقتدي برجل من العامة ، وهو الأمير والوالي ، وبمن ؟ بابن عمر الذي أحرجه ذات يوم أمام جموع المصلين عندما خطب وأطال خطبته وأخّر الصلاة فقال له ابن عمر رضي الله عنه : إن الشمس لا تنتظرك فقال الحجاج : لقد هممت أن أضرب الذي فيه عيناك . فرد ابن عمر رضي الله عنه : إن تفعل فإنك سيفه مُسلّط . هكذا أمام جموع المصلين فهو تربية رسول الله ﷺ الذي لا يخش في الله لومه لائم .

لم يناقش الحَجَّاج الأمر مع عبد الملك بن مروان ، ولكنه أسر في نفسه شيء ما .

***

بدأت مناسك الحج ، وكان المسلمون ينظرون إلى ابن عمر رضي الله عنه ويقتدون به ، وهم في حقيقة الأمر يقتدون برسول الله ﷺ ، وما ابن عمر رضي الله عنه إلا ناقل لسنته ، بل صورة دقيقة لأعماله في الحج .

وبطبيعة الموقف كان ابن عمر رضي الله عنه يتقدم الحَجّاج بن يوسف في الطواف والسعي وغيرهما من مناسك ، وكان ذلك يشق على الحجاج ، فأمر رجلاً معه حربه مسمومة أن يلصق بابن عمر عند إزدحام الناس ، وأطاع الرجل الأمر ، فوضع الحربة على ظهر قدمه فأحدثت فيه خدشًا بسيطًا فمرض منه أيامًا ، فأتاه الحجاج يعوده ، فقال له : من فعل بك ذلك ؟

فقال ابن عمر رضي الله عنه : وما تصنع لو علمت ؟

قال الحجاج : قتلني الله إن لم أقتله ! فقال ابن عمر رضي الله عنه : ما أراك فاعلاً ! أنت الذي أمرت الذي نخسني[1] بالحربة .

وما هي إلا أيام ومات عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما .

مات الرجل الذي ظل يعمل بوصية الرسول ﷺ له يوم أن أوصاه : « **يا عبد الله كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل ، وعد نفسك في أهل القبور** » .

« **يا عبد الله بن عمر فإنه ليس ثَمَّ دينار ولا درهم ، إنما هي حسنات وسيئات جزاء بجزاء ، وقصاص بقصاص ، ولا تتبرأ من ولدك في الدنيا فيتبرأ الله منك في الآخرة فيفضحك على رؤوس الأشهاد ، ومن جر ثوبه خيلاء لم ينظر الله إليه يوم القيامة** » .

رحم الله الرجل الصالح أبا عبد الرحمن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما ، كما وصفه الرسول ﷺ .

*** من فضائل عبد الله بن عمر رضي الله عنهما**

(1) عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : رأيت في المنام كأن في يدي قطعة استبرق ، وليس مكان أريد من الجنة إلا طارت إليه . قال فقصصته على حفصة ، فقصّته حفصة على النبي ﷺ . فقال : « **أري عبد الله رجلاً صالحاً** » رواه البخاري ومسلم .

(2) كان جابر بن عبد الله رضي الله عنهما يقول : ما منا إلا مالت به الدنيا وما بها ما خلا عمر وابنه عبد الله .

(3) سئل نافع مولاه : ما كان ابن عمر يصنع في منزله ؟ قال : الوضوء لكل صلاة ، والمصحف فيما بينهما .

* * *

---

(1) نخس : طعن .